شرح العقيدة الواسطية

الدرس الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أمّا بعد:
فكنا قد وصلنا في الدرس الماضي عند قول المؤلف رحمه الله تعالى: (أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)

ثم قال: **(وَهُوَ: الإِيمانُ بِاللهِ)**

أي: اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله.

الإيمان في اللغة- عند أكثر أهلها-: هو التصديق.

وأمّا في الشرع: فهو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح والأركان؛ هذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله: (لا يجزئ أحدها عن الآخر)؛ فلا بدّ من الثلاثة حتى يكون العبد مؤمناً.

والمقصود بقول المؤلف: (الإِيمانُ بِاللهِ): التصديق بوجود الله تبارك وتعالى، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته؛ وتعمل بمقتضى هذا التصديق، هي أربعة:
الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.
(الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى) :كيف نستدلُّ عليه؟

نستدل عليه: بآيات الله الكونية، والآيات الشرعية، وبالحسّ، وبالفطرة؛ أربعة أدلة على وجود الله تبارك وتعالى.
الأول: العقل؛ وذلك بالتأمل في آيات الله الكونية، تتأمل في خلق الله، هذا الخلق العظيم المتقن المحكم، تتأمل في الشمس، في القمر، في السماوات، في الأرض، تتأمل

في الإبل، وتتأمل في نفسك أيضاً، وتنظر إلى عجيب صنع الله تبارك وتعالى وعِظَمِ خلقه، هذا الخلق يدلّ على خالق عليم حكيم خبير قدير، وقد أشار إلى هذا المعنى الأعرابي عندما سُئل: بمَ عرفت ربك؟ قال: (الأثَرُ يدل على المسير) وجود الأثر على الأرض؛ إذا مشى شخص وترك أثر قدميه على الأرض، عندما ترى هذا الأثر؛ تعرف أنّ شخصاً قد مرَّ؛ فالأثر يدلّ على المسير، (والبَعْرَةُ تدلّ على البعير) البعرة: يعني البراز الذي يُخرجه البعير أثناء مسيره وطريقه؛ وجودها علامة على مرور بعير من هذا الطريق، (فسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجاج) يعني: طرقا (وبحار ذات أمواج ألّا تدلّ على السميع البصير!؟) انظر إلى هذا الأعرابي كيف استدلَّ بفطرته السليمة على وجود الله تبارك وتعالى؛ هذه الطريقة العقلية السليمة في الوصول إلى إثبات وجود الله تبارك وتعالى، قد أشار الله تبارك وتعالى إليها بقوله: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}، هذه المخلوقات لا يخلو حالها من واحدة من أمور ثلاث:

إمّا أن تكون هي التي خلقت نفسها، أو أن تكون قد وُجدت صدفة، أو أن يكون قد خلقها خالق.

أما وجودها صدفة فمستحيل؛ لأننا ندرك بعقولنا أنّ كلَّ مخلوق لابدّ له من خالق، انظروا مثلاً إلى هذه المصنوعات الموجودة عندنا اليوم: السفن والطائرات والسيارات والكمبيوترات وغيرها؛ هل وُجدت صدفة هكذا؟ لابدّ لها من صانع صنعها وأوجدها، فكذلك المخلوقات بالكامل؛ لابدّ لكلّ مخلوق من خالق؛ إذن لا بدّ من خالق يخلق هذه المخلوقات، أمّا أن توجد وحدها هكذا صدفة؛ فلا يوجد شيء صدفة، ويوجد صدفة بهذا الإحكام والاتقان الموجود في هذا الكون؟ هذا مستحيل.

وكذلك أن يُوجِدَ نفسه- أن يخلق نفسه-؛ هذا أمر مستحيل، فالمعدوم لا يمكن له أن يفعل وأن يُوجد شيئاً.

فلم يبقّ إلّا أن يكون لها خالق خلقها ويتصف بصفات الكمال التي دلّت عليها هذه المخلوقات الكونية؛ هذا هو الدليل العقلي بالنظر إلى الآيات الكونية.

وأمّا الدليل الثاني وهو الحسّي؛ فهذا نجده في الدعاء، ما من إنسان إلّا وتمرّ به لحظة ويكون مضطراً، يلجأ في تلك اللحظة إلى الله تبارك وتعالى ويتضرع له بالدعاء؛ فيجد الإجابة ويلتمس ذلك حِسَّاً؛ فهذا يدلّ على ماذا؟ على وجود الله الذي لمّا دعاه استجاب له {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ} والرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ وهو على المنبر وشكا إليه قلّة الماء، رفع النبي ﷺ يديه ودعا الله فاستجاب الله دعاءه ونزل الماء مباشرة؛ ألّا يدل ذلك على وجود الله؟ هذا دليل حسيٌّ ملموس.

وأمّا الدليل الثالث؛ الدليل الفِطري: الخَلق جميعاً مفطورون على الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى، قد لا تكاد تجد شخصاً لم يتلاعب به الشيطان إلّا ويؤمن بوجود الله تبارك وتعالى؛ هذا حال أكثر الناس؛ إلّا ما ندر كفرعون الذي أنكره في الظاهر، أمّا في حقيقة نفسه فكان مؤمناً به، ماذا قال الله سبحانه وتعالى في حقّه؟ قال: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} ففي حقيقة قرارة نفسه يؤمن بوجود الله؛ ولكن الكبر الذي كان عليه هو الذي منعه من الإقرار بذلك.

والدليل الأخير وهو الشرعي: النظر والتأمل في آيات الله الشرعية لا الكونية، انظر إلى إحكام هذا الشرع وإتقانه، انظر إلى أوامر الله ونواهيه، انظر إلى صلاحه وإصلاحه لكلّ زمان ومكان؛ يدلك هذا على أنّ هذا الشرع ليس من عمل البشر.

هذه الأمور كلّها تدلّنا على وجود الله تبارك وتعالى ولا يُنكرها إلّا مكابر.

هذا النوع الأول من الإيمان؛ وهو الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى.

(النوع الثاني: الإيمان بربوبيته): لا يكون العبد مؤمناً ينفعه إيمانه؛ إلّا أن يكون مؤمناً بوجود الله ومؤمناً بربوبية الله.

ما معنى الربوبية هنا؟ أن يؤمن بأنّ الله هو الخالق الرازق المدبر، يؤمن بجميع أفعال الله المختصة به؛ وهذا النوع من الإيمان كان كفّار قريش مؤمنين ومقرّين به {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} كذلك في السماوات وفي الأرض والجبال وغيرها، فمن أنزل الماء؟ كلّها مقرّون بأنّ الله سبحانه وتعالى الذي يفعل ذلك، ولكن شركهم كان في النوع الثالث؛ وهو الإيمان بألوهية الله.

(النوع الثالث: الإيمان بألوهية الله) أي أنّه معبود بحقّ وأنّه الذي يستحق العبادة وحده {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}، {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، وهذا النوع من الإيمان هو الذي كان كفّار قريش قد أشركوا فيه، وأفسدوه، وقاتلهم النبي ﷺ عليه، فكانوا مقرين بالإيمان بوجود الله، مقرين بالثاني: وهو بربوبية الله؛ لكنّهم كانوا مشركين مع الله غيرَه في العبادة، فيعبدون الله ويعبدون غيرَه معه، يعبدون الأصنام، فالعبد لا يكون مؤمناً بالله حتى يؤمن بوجود الله، ويؤمن بربوبية الله، ويؤمن بألوهية الله، ويؤمن أيضاً بأسماء الله وصفاته.

وهذا النوع الرابع وهو الإيمان بأسماء الله وصفاته- النوع الأخير-؛ سيأتي تفصيله إن شاء الله من كلام المؤلف نفسه.

وهذه العقيدة التي بدأها المؤلف رحمه الله بالإيمان بالله ثم ثنّى بالإيمان بالملائكة؛ هي التي جاء بها جبريل وسأل النبيَ ﷺ عنها كي يعلمها لنا، قال له: ما الإسلام؟ وما الإيمان؟ وما الإحسان؟ وقال له النبي ﷺ في الإيمان: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث وتؤمن بالقدر خيره وشره"، هذا الذي جاء في قصة جبريل في حديث عمر وفي حديث أبي هريرة في "الصحيحين".

قال: (وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ) أي الاعتقاد الذي يعتقده أهل السنة والجماعة.

قال: **(وَمَلَائِكَتِهِ)**

أي الإيمان بملائكته.

ما معنى الإيمان بالملائكة؟ أن تُصدِّق وتُقرَّ بوجودهم، فيجب الإيمان بوجود هؤلاء الملائكة الذين هم عالم غيبي- لا نراهم- خلقهم الله عز وجل من نور، كما جاء في "صحيح مسلم" أنّ النبي ﷺ قال: "خُلقت الملائكة من نور"، وجعلهم الله تبارك وتعالى طائعين متذللين له؛ قال سبحانه: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} وقال: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُون}، وقال: {لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ}، ومع عبادتهم وخضوعهم وتذللهم لله؛ لهم وظائف يقومون بها، فنؤمن بهم ونؤمن بأسماء مَن ذُكر لنا أسماؤهم، ونؤمن أيضاً بوظائفهم التي ذُكرت لنا؛ فجبريل موكَّل بالوحي، وإسرافيل موكَّل بالنفخ في الصور، وميكائيل موكل بالقطر والنبات، ومنهم المؤكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت ومن معه، ومنهم الموكَّل بأعمال العباد وهم الكرام الكاتبون، ومنهم الموكل بحفظ العبد، ومنهم الموكل بالنَّار وعذابها وهو مالك ومن معه، ومنهم الموكل بفتنة القبر وهو منكر ونكير... وهكذا، كلّ ما ورد في الكتاب والسنة من أعمالهم ووظائفهم؛ نؤمن بها ونصدق.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَكُتُبِهِ)**

أي: الكتب التي أنزلها الله على رسله، ولكلّ رسول كتاب؛ فالرسول هو الذي يُرسله الله تبارك وتعالى إلى قومه ليدعوهم إلى توحيد الله تبارك وتعالى ويكون معه كتاب {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ}.

من الكتب التي عَلِمناها: صحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن؛ فنؤمن بهذه الكتب بالتفصيل، والبقية نؤمن بها على وجه الإجمال من غير أن نعلم أسماءها لأنّها لم تُذكر لنا؛ كلّ هذا الذي نذكره في هذه العقيدة ثبتت به الأدلة من

الكتاب والسنة؛ لأنّ هذه المسائل العقائدية كلّها غيبية لا تُدرك إلّا بالنصوص الشرعية التي تأتي من عند الله تبارك وتعالى، فما ثبت منها في الكتاب والسنة، أثبتناه وما نُفي نفيناه، وما سُكت عنه سكتنا.

قال:(وَرُسُلِهِ)

والرسل: أي رُسل الله، وهم الذين أوحى الله تبارك وتعالى إليهم بالشرائع، وأمرهم بتبليغها وكانت معهم كتب، وأولهم نوح عليه السلام {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}؛ إذن كان النبيون بعد نوح وليسوا قبله.

والرسل كُثر مَن ذُكر لنا منهم باسمه آمنا به باسمه؛ كموسى وعيسى وإبراهيم ومحمد ﷺ وغيرهم، ومن لم يذكر لنا باسمه؛ آمنا به مجملاً.

قال:**(وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ)**

المقصود بالبعث هو الإخراج، أي إخراج الناس بعد موتهم للحساب، ثم بعد ذلك إلى جنّة أو نار، وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين لا خلاف فيه بأنّ الناس يُبعثون يوم القيامة؛ بل حتى اليهود والنصارى يؤمنون بهذا، {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} والآيات في ذلك كثيرة والأحاديث كثيرة وإجماع الأمة منعقد على هذه العقيدة.

قال: **(والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ)**

القدر هو تقدير الله للأشياء كما سبق به عِلمه واقتضت حكمته، ثم إيجادها بعد ذلك على حسب ما جرى به القلم، قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، وقال: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}؛ هذه الآيات تدلّ على القدر، وعلى وجوب الإيمان بالقدر، وحديث جبريل يشملها كلها، ولا يتم إيمان عبدٍ بالقدر؛ حتى يؤمن بأربعة

مراتب:

الأولى: العلم.

الثانية: الكتابة.

الثالثة: المشيئة.

الرابعة: الخلق.

هذه مراتب القدر الأربعة.

العلم: تؤمن بأنّ الله عالِمٌ بكلّ شيء، ودليله قوله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

والكتابة: تؤمن بأنّ الله كتب مقادير كلّ شيء، كما قال سبحانه: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}، وجاء في الحديث بأنّ الله تبارك وتعالى كتب مقادير كلّ شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فإذن الله سبحانه وتعالى علِم وكتَب وشاء.

المشيئة: فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}؛ فكلّ شيء تحت مشيئة الله تبارك وتعالى.

والخلق: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}.

وهذا القدر قد ضلَّت فيه طائفتان:

طائفة القدرية، وطائفة الجبرية.

وهؤلاء القدرية قسمان:

قدرية ينفون العلم- علم الله تبارك وتعالى- ولا يؤمنون به: وهؤلاء كفار بالاتفاق، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله: (ناظروا القدرية بالعلم فإن أقرّوا به خصموا وإن أنكروا وجحدوا؛ كفروا)، وهؤلاء قد انقرضوا.

والقسم الثاني: هم الذين ينفون أفعال العباد؛ يقولون بأنّ العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم، لا يخلقها الله تبارك وتعالى وليست داخلة تحت مشيئة الله تبارك وتعالى؛ هذه الطائفة

الثانية.

وأمّا الجبرية: فهم الذين يقولون بأنّ الله تبارك وتعالى قد جبر العباد على أفعالهم، والعباد لا اختيار لهم في أفعالهم، وفعل العبد كورقة الشجر في مهبّ الريح؛ هذه الطائفة الأخرى التي ضلَّت في هذا الباب، وسيأتي إن شاء الله تفصيل القول في ذلك.

قال: **(والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**

أي أنّ ما قدَّره الله تبارك وتعالى يُوصف بأنّه خير وأفعال الله تبارك وتعالى كلّها خير، فلا توصف أفعال الله بالشر؛ ولكن الشر هنا بالنسبة للمقدور- المخلوق- فالله سبحانه وتعالى خلْقُه كلّه خير، وتقديره كلّه خير؛ لكن في المخلوق والمقدور ما هو شرّ، وهذا الشر يكون شراً نسبياً؛ فالله سبحانه وتعالى لم يخلق شراً محضاً، كلّ شيء ترى فيه شراً؛ ففيه شر من وجه وفيه خير من وجه آخر، كالدواء المر عندما تشربه، هذا يكون مكروهاً مراً، لكنّك تشربه؛ لأنّ من ورائه منفعة؛ فإذن هو من وجه مكروه لكنّه من وجه آخر محبوب، هذا خلق الله تبارك وتعالى.

وأمّا الشر فلا يُنسب إلى الله تبارك وتعالى؛ كما قال النبي ﷺ: "والشر ليس إليك"؛ فإذن لا يُنسب الشر إلى الله تبارك وتعالى.

ثم سيبدأ المؤلف بالكلام في مسألة الصفات؛ الإيمان بما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه، نؤجله إن شاء الله إلى الدرس القادم كي يكون الكلام فيه متتابعاً.